الإســــلام

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

أيها المسلمون : إن نعمة الإسلام هي من أعظم النعم ، التي امتن الله عز وجل بها على عباده المؤمنين ، بأن جعلهم مسلمين ، ولذلك استحقوا بهذا الاسم العظيم ، أن يبلغوا منزلة عالية إلى يوم الدين ، كما قال تعالى : ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ [الحج : ٧٨] ، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى لن يقبل من أحد ديناً غير الإسلام ، لا يهودية ، ولا نصرانية ، ولا مجوسية ، ولا غيرها من ملل الكفر والإلحاد ، قال تعالى :﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٨٥) ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

ثبوت الصفة الإسلامية :

ولا تثبت صفة الإسلام إلاَّ لمن شهد ألاَّ إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ، ولم يأتي بما يناقض ذلك كله ، ولهذا قال ﷺ : « **من شهد ألا إله إلا الله ، واستقبل قبلتنا ، وصلى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، له ما للمسلم ، وعليه ما على المسلم** » مجموع الفتاوى .

وروى البخاري أيضاً : قوله عليه الصلاة والسلام « **من صلى صلاتنا ،**

واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذاكم المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله » والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرمة مُصانة ، إلا بإذن من الله ورسوله ، لما ثبت أن النبي ﷺ قال : « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه** » ولما خطبهم في حجة الوداع ، قال عليه الصلاة والسلام : « **إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » ، وقال ﷺ : « **لا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض** » متفق عليه ، وقال في حديث آخر : « **إذا قال المسلم لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما** » رواه البخاري .

وعليه فلا يجوز تكفير المسلم بذنب أذنبه ، أو خطءٍ أخطأ فيه ، إلا كما قال ﷺ : « **إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان** » ، ولهذا فالخوارج المارقون ، الذين سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على أموال المسلمين ، والذين أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم ، ليس قتال ردة وكفر ، إنما قتال بغي وضلال وإفساد ، لدفع ظلمهم وبغيهم ، ولهذا لم يسبي نساءهم ، ولم يغنم أموالهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه مشهورة ، لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، أي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ كما جاء في الحديث المتفق عليه : « **إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم** » .

من بدل دينه فاقتلوه :

ولا شك أن البقاء على الإسلام ، هو واجب ديني ، ومطلب شرعي ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . ولن يقبل

الله عز وجل من أحد دينا غير الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٨٥) ﴾ [آل عمران : ٨٥] . ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : «**من بدل دينه فاقتلوه** » وقال أيضاً: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله** » رواه البخاري ومسلم ، فدل هذا الحديث على أن تارك الصلاة يقتل ، ومانع الزكاة يقتل، ولذلك قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه : مانعي الزكاة،وكذلك يُقتل من سب الله أو سب رسوله ﷺ لأنه خرج من الإسلام، حسب أدلة الكتاب والسُّنَّة ،وأقوال الصحابة والتابعين ، قال تعالى: ﴿ **وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ** (١٢) ﴾ [التوبة:١٢] .

قال ابن تيمية رحمه الله في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول: إنه سمّاهم أئمة الكفر ، لطعنهم في الدين ، فثبت أن كل طاعن في الدين ، فهو إمام في الكفر ، ولا فرق بين أن يكون معتقداً أو هازلاً ، إستنادا لقوله تعالى ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦]،وقوله أيضاً: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ** ﴾ [التوبة:٧٤]، ولذلك ثبت أن من سب الله أو سب الرسول فقد كفر، وجزاءه في الإسلام أن يقتل ، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً أعمى، كان له زوجة تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، فلما كانت ذات ليلة ، جعلت تقع في النبي ﷺ، فأخذ زوجها الأعمى المغول ، فوضعه في بطنها واتكأ عليه ، فقتلها ، فلما أصبح ، ذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: يارسول الله ، أنا صاحبها ، كانت تشتمك

وتقع فيك ، فانهاها فلا تنتهي،ولي منها إبنان مثل اللؤلؤتين ،وكانت بي رفيقة ، فلما كانت البارحة ، جعلت تشتمك وتقع فيك ، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليه ، حتى قتلتها ، فقال النبي ﷺ : «**آلا اشهدوا أن دمها هدر**» رواه أبو داود في سنُنه ، ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال : « **كل من شتم النبي ﷺ ، أو انتقصه ، مسلماً كان أو كافراً ، فعليه القتل** » ، ويقول أيضاً : أرى أن يُقتل ولا يُستتاب ، وقال ابنه عبد الله : سألت أبي عمّن شتم النبي ﷺ يُستتاب ، فقال : قد وجب عليه القتل ولا يُستتاب ،لأن خالد بن الوليد رضي الله عنه قتل رجلاً شتم النبي ﷺ ولم يستتبه ،وعليه فإن من شتم الله أو الرسول ﷺ ،أو يستهزئ بشيء من الدين، فلا يعذر بالجهل،ولا بشيء من موانع التكفير سوى الإكراه المحقق ، إستنادا لقوله تعالى :﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾ [النحل : ١٠٦].

مَــنْ المُسلــم ؟ :

والمسلم قد يكون في إسلامه غبش أو خلل،كأن يكون جاهلاً ببعض الأحكام الشرعية ، أو متّبعاً لبعض الأعمال الشيطانية ، أو مستغرقاً في حب الشهوات والملذات ، ففي هذه الحالة لا يخرج عن كونه مسلماً ، بل يبقى اسلامه ناقصاً ، أو مذبذباً ، كما قال ﷺ في حديث الجار : « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** ، قيل : من يا رسول الله ؟، **قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه** » أي شروره ، فالرسول ﷺ في هذا الحديث نفى كمال الإيمان ، وليس الإيمان بذاته، إذن من المسلم عندكم وفي نظركم؟، الذي ليس في إسلامه غبش، هل هو ذاك الرجل الذي تربى في أحضان أعداء الله؟، ويلبس الكرفته، ويستهزئ بالقرآن والسُّنَّة ، أم ذاك الذي يوالي أعداء الله ويحبهم ويناصرهم؟ والله عز وجل

يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١]،أو الذي يحاكيهم ويقتدي بهم من حيث مأكلهم ومشربهم وملبسهم ؟ والرسول ﷺ يقول : «**من تشبه بقوم فهو منهم**»أو المسلم في نظركم هو الذي يشاركهم في أفراحهم وأعيادهم، كعيد الكرسمس مثلاً، ويحتفل معهم، أو الذي يتسمّى بأسمائهم بدلاً من عبد الله وعبد الرحمن،أو المسلم في نظركم هو الذي يستغيث بغير الله،وينذر لغير الله، أو يذبحُ لغير الله ، والله عز وجل يقول ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة :٧٢] ، أو المسلم الذي يتعلم السحر والكهانة، والرسول ﷺ يقول: «**من أتى كاهناً أو عرّافاً ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد**» أو المسلم في نظركم هو الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة:٤٤]،أو الذي يسب الله، ويتطاول عليه، أو المسلم عندكم هو الذي يظلم الناس ويتعدى على حقوقهم وأعراضهم، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود:١١٣].

الأخوة الإسلامية:

أما المسلم عندنا، فهو الذي يوالي أولياء الرحمن ، ويعادي أولياء الشيطان ، فالمسلمون بعضهم أولياء بعض ، كالجسد الواحد ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم،كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» ، وقوله ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً**» وشبّك بين أصابعه.

ولا شك أن الإسلام جاء ليؤكد هذه الرابطة الإسلامية بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ**

﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ، فهذا هو الميزان الذي يتعامل به الإسلام ، ومعلوم أن الإسلام يقدم رابطة الأخوة الإيمانية على رابطة الجنس أو النسب أو القبيلة، إستنادا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة : ٢٤] .

ففي هذه الآية: إشارات إلى الروابط الجنسية والنسبية ، وإلى الدعوات الجاهلية ، سواء كانت عشائرية أو مناطقية ، ومما يؤكد أن الرابطة الإسلامية هي فوق الروابط جميعاً،أن القرآن تبرئ من أبي لهب الحسيب النسيب، عم الرسول ﷺ ، وأخبر أنه سيدخل جهنم مع الداخلين ، بينما اعتبر الرسول ﷺ سلمان الفارسي رضي الله عنه من آل البيت ، لأنه استجاب للحق والهدى ، فقال ﷺ «**سلمان منا أهل البيت**» ، وما أحسن القائل حين قال:

عليك بتقوى الله في كل حال ... ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارسي ... وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ولله در من قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

فالمسلمون إخوة في الدين والعقيدة ، وإن اختلفت أنسابهم ولغاتهم ، وتباعدت أوطانهم ، وتباينت أجناسهم ، فهم يؤمنون بالشعار الذي لا يتبدل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ، وللمبدأ الذي لا يتغير ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]،وعليه فلا يجوز أن يظلم المسلم أخوه المسلم، أو يعتدي على حقوقه ، إستنادا إلى قوله ﷺ : «**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا** - ويشير إلى صدره - **بحسب امرئ من**

الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» ويشير ﷺ إلى ذلك في خطبة الوداع ، عندما قال : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » ، ويقول في حديث آخر : «**المسلم أخو المسلم** » ليس أخو النصراني أو المجوسي أو ... أو ... .

نموذج مقدمة :

أما بعد أيها المسلمون: إن الإسلام ولله الحمد ينتشر بقوة وثبات ، ويجد طريقه إلى القلوب والعقول ، لأن الإسلام دين عالمي وليس دين العرب وحدهم ، وإن كان الرسول ﷺ عربياً أو من أمة عربية، فهو رسول أُرسل إلى العرب والعجم، ودعوته موجهة إلى الناس أجمعين ، قال تعالى ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾ [آل عمران :٦٤] .

وعليه يجب دعوة الكفار عامة ، وأهل الكتاب خاصة إلى الإسلام ، لأنهم في حاجة ماسة إلى رسالة تنقذهم من وحل الطين الذي يعيشون فيه، ولن يجدوا غير الإسلام ، ولكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب الدين ، أو التنازل عن شيء من شرائع الإسلام ، أو النزول عند رغباتهم وأهوائهم ، أو تحقيق أهدافهم ، ونقض عرى الإسلام ، فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون ، والله المستعان على ما يصنعون، قال تعالى: ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة:٤٩] ، إذن سيبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله ، بعز عزيز ، أو بذُل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يُذل الله به الكفر وأهله، ولكن هناك مشكلة في بعض المسلمين أنفسهم ،

فهم الذين ينقلون صورة سيئة عن الإسلام ، ويقفون عقبة في طريقه إلى بلاد الغرب ، نتيجة لما يرون من الأخلاق السيئة عند بعض المسلمين ، المنتسبين للإسلام زوراً وباطلاً ، ولعلكم سمعتم عن قصة ذلك الرجل الكافر الذي أسلم نتيجة لقراءته في بعض الكتب الإسلامية ، فأعجب بالإسلام ، فأسلم ، ثم قام بعد ذلك بزيارة إلى بلاد المسلمين ، فرأى المسلمين يعيشون بخلاف ما كان يقرأ عن الإسلام في الكتب الإسلامية ، فقال قولته المشهورة: الحمد لله الذي أراني الإسلام قبل أن أرى المسلمين .

الهزيمة النفسية :

والحقيقة أن المسلمون اليوم ، يعيشون مرحلة انهزامية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها ، لأنهم ركنوا إلى الحياة الدنيا وشهواتها ، فعاشوا حياة الذل والهوان ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)** ﴾ [التوبة: ٤٦]،ولأنهم يعيشون حياة الشهوات والملذات ، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)** ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦] .

وهناك صنف آخر من هؤلاء المذبذبين في دينهم ، وهم الذي يعجزون عن مواجهة المشكلات ، ويعملون لغير هدف ولا غاية ، وهناك اليائسين من إمكانية تغيير الوضع ، فتجد بعضهم يقول لك : أنت تؤذن في خرابة، والبعض الآخر يقولون : أنت تنفخ في قربة مخروقة،وهناك من يخفي هويته الإسلامية، فيستحي أن يقول: أنا مسلم، أو يقول: هذا حلال وهذا حرام ، بل بعضهم يحاول أن يحاكي أسياده الغربيين والكافرين ، من حيث مأكلهم ومشربهم

وملبسهم ، مما يدل ذلك على نفسيّة ضعيفة منهزمة ، لا تعتز بدينها ، ولا بشخصيتها ، وسأذكر لكم قصة ذلك الشاب الإنجليزي الذي أسلم ، وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع ، سمع عن وظيفة شاغرة في إحدى الشركات الإنجليزية ، فلما ذهب إلى هناك وجد أناس كثير من غير المسلمين يتسابقون على تلك الوظيفة ، لكنه واصل رغبته ، وتقدم للمقابلة الشخصية ، وذكر لهم بأنه قد غير دينه فأسلم ، وغيرّ اسمه فكان اسمه « رود وأصبح الآن عمر » وطلب منهم أن يعطوه وقتاً لأداء الصلاة أثناء سير العمل ، فما كان من هذه الشركة إلا أن وافقوا عليه ، وقالوا له : نحن نريد في هذه الوظيفة ، رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات، وأنت عندك القدرة على ذلك ، لأنك غيّرت دينك ، وغيّرت اسمك ، وهكذا أصبح الذين يسلمون حديثاً أكثر تمسكاً بهذا الدين وأحكامه ، لأنهم أخذوا الإسلام بعيداً عن الضغوط الخارجية أو الداخلية ، التي توجد عندنا ، وفي المقابل نجد كثيراً من المسلمين اليوم ، أحفاد أبو بكر وعمر وعمار ﷺ ، يبحثون عن طرق أخرى، يهادنون بها أعداء الله، ويقبلون بأنصاف الحلول ، التي لا تسمن ولا تغني من جوع،﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١] .

عـــزة المسلمين :

وهذه الهزيمة النفسية التي يعيشها المسلمون اليوم ، هي ليست في الإسلام ، إنما هي في المسلمين أنفسهم ، هم الذين ضعفوا واستكانوا ، أما الإسلام: فهو دين القوة والعزة والاستعلاء ، قال تعالى : ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٣٩) ﴾ [آل عمران :١٣٩]، فهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه ، يقف مع قائد الفرس « رستم » موقف العزة والإباء ، عندما سأله ما الذي جاء بكم إلى

بلادنا؟ ، فقال له: ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله ، فقال رستم : وما موعود الله ؟، قال: الجنة لمن مات ، والظفر لمن بقيت له الحياة ، قال: وهل لكم أن تؤخروا عنا هذا الأمر حتى ننظر في أمرنا ؟ ، فقال ربعي بن عامر : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء أكثر من ثلاث . أي ثلاثة أيام ، فانظر في أمرك ، و هذا عقبة بن نافع: يقف على شاطئ البحر ، يخاطبه بعزة المسلم الواثق بالله ، فيقول: والله لو أعلم أن وراء هذا البحر رجلاً لا يقول لا إله إلا الله ، لخضت هذا البحر بفرسي هذا ، وأبلغته لا إله إلا الله .

الإســـلام المطلـــوب :

فآه ، آه ، على هذه الأمة ، ما أحوجها إلى قلوب تحترق من أجل الإسلام ، فنحن اليوم بحاجة ماسة إلى من يملك عاطفة حية، ويحس بآلام إخوانه المسلمين، فقد كان الشيخ محمد رشيد رضا ، يتألم كثيراً لواقع المسلمين ، ويظهر ذلك على قسمات وجهه ، إذا حلت بهم مصيبة أو قارعة ، حتى إن والدته كانت تعرف عنه ذلك الخلق الجميل،فكانت إذا رأته حزيناً أو كئيباً تقول له :يا ولدي ، هل مات اليوم مسلم في الصين؟، لقد أدركت هذه الأم الحنونة ، أن أفراح ابنها وأحزانه ، متّصلة بأحوال الإسلام والمسلمين ، ولذلك فإن هذا الرجل العظيم ، كان لا يعيش لنفسه ودنياه ، إنما يعيش لأمته وأخراه ، فنحن اليوم محتاجون إلى مسلمين صادقين ، يقولون الحق ولو على أنفسهم، ولا يخافون في الله لومة لائم ، نحن اليوم نريد من المسلم أن يكون حراً ، يستطيع أن يقول: لا بملء فيه ، دون خوف من سياط الجلادين وسجون المستبدين ، نريد إسلاماً يستطيع فيه الشعب

المسلم ، أن يلتقي مع حاكمه في المسجد كل يوم ، أو كل جمعة على الأقل ، وأن يقول له ما قيل لابن الخطاب رضي الله عنه : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً ، لقومناه بسيوفنا ، نريد إسلاماً يستنفر الأمة لمواجهة العدوان على بلاد المسلمين ، الذي اغتصب الأرض وشرّد الأطفال والنساء ، وانتهك الأعراض والمقدسات ، نريد إسلاماً يعيد العزة والكرامة لهذه الأمة ، كما كانت في عهد النبوة ، وعهد الخلافة الراشدة ، نريد إسلاماً يزيل الظلم والعدوان على أموال الناس وأعراضهم ، نريد إسلاماً يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

الصناعات الإسلامية :

نريد إسلاماً يفجّر طاقات الأمة المخزونة للإبداع والإتقان ، حتى لا يكون المسلمون عالة على الآخرين ،فيمدون أيديهم إلى غير المسلمين ، في شراء قوتهم الضروري ، وعندها لا يستطيعون صنع السلاح، الذي يدافعون به عن أنفسهم ، فيا للأسف الشديد ، أمة في قرآنها سورة الحديد ، لكنها لم تتعلم صناعة الحديد ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ [الحديد: ٢٥] ، فيه بأس شديد : إشارة إلى الصناعات الحربية ، ومنافع للناس : إشارة إلى الصناعات المدنية ، ولكن مع الأسف ، نحن المسلمون ، لم نعمل بهذه الآية الكريمة ، ولم نحسن تلك الصناعات ، التي تعود علينا وعلى أمتنا بالخير الكثير .

سنة المدافعة :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى ، قدر وقضى ، بعلمه الشامل وحكمته البالغة ، أن يكون الصراع بين الحق والباطل ، بين الإسلام والكفر ، موجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وسمة هذا الصراع ، أنه حرب ضروس ، لن يخمد لهيبها إلى قيام الساعة ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ **ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ولهذا جاء الأمر واضحاً من الله عز وجل لأوليائه ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٩٣]، ونتيجة لذلك فإن الله سبحانه وتعالى ، كتب وقضى ، بأن البقاء للحق وأهله ، لأن ذلك: هو الأصل الذي قامت عليه السموات والأرض ، وأما الباطل فيذهب جفاءً ، فهو زاهق وباطل ، كما قال تعالى :﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (٨١) ﴾ [الإسراء :٨١] ، ولكن مع ذلك يجب أن تعلموا أن الصراع الآن بين الحق والباطل ، قد بلغ أشده وذروته ، وهذا الصراع الذي نعيشه الآن في هذه الآونة الأخيرة ، قد رجحت فيه قوة الكفر والكافرين، لحكمة يعلمها الله عز وجل، فاستباحوا بذلك ديار المسلمين ودمائهم وأعراضهم ومقدساتهم .

وفي ظل هذه الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين اليوم ، صار كثير من المسلمين ، وكثير من الدعاة إلى الله عز وجل ، يتساءلون مع بعضهم أو مع أنفسهم ، أما آن لهذه الذلة والمهانة أن تنقشع عن هذه الأمة ؟ أما آن لهذا الليل الطويل أن ينجلي ، وبشكل عام ظهر سؤال أكبر من ذلك بكثير ، متى نصر الله؟ هذا السؤال الكبير ، الذي سأله النبي ﷺ والذين آمنوا معه ، بعدما أصابهم البأساء والضراء وزلزلوا ، فقالوا :متى نصر الله ؟ ، فردَّ الله عليهم بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة :٢١٤] .

ولكن مع ذلك ، ومع هذه النتيجة الحتمية ، فقد استمرت الحرب ضد الإسلام والمسلمين ، بعد مرحلة النصر والتمكين ، فالمسلمون اليوم ما يزالون يتعرضون لمثل هذه المؤآمرات ، والإسلام اليوم قد أصبح عند الكثيرين جريمة لا تُغتفر ، ومن ينتسب إليه مجرماً أو إرهابياً ، ولهذا يكيدون للإسلام ليل نهار ، ويعملون على تشويه صورة الإسلام في كل مكان ، فيقول أحد المبشرين واسمه كولي في كتابه : « البحث عن الدين الحق » ، يقول : « لقد برز في الشرق الأوسط ، عدو جديد ، اسمه الإسلام ، الذي أُسس على القوة وأشد أنواع التعصب ، وقال أيضاً : لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ، ثم وعد الذين يهلكون باللذة ، ويقصد بذلك الجنة ، قبحه الله ، ويقول اديسون عليه لعائن الله : محمد لم يستطع أن يفهم النصرانية ، ولذلك بنى عليها دينه الجديد الذي جاء به للعرب » وغيرها من الأوصاف الخبيثة التي يصفون بها الإسلام والمسلمين ، وما تخفي صدورهم أكبر .

وحـــدة الأديـــان !! :

وكذلك فقد تعرض الإسلام والمسلمون إلى مؤآمرآت كثيرة وخبيثة ، كان آخرها : الدعوة إلى وحدة الأديان ، دين الإسلام ، ودين اليهود ، ودين النصارى ، وكذلك الدعوة إلى بناء مسجد ومعبد وكنيسة في مجمع واحد ، في رحاب الجامعات ، والمطارات ، والحدائق العامة ، والدعوة أيضاً : إلى طباعة المصحف

الشريف مع التوراة والإنجيل المحرفين في غلاف واحد ،والحقيقة أن هذه دعوة مادية خطيرة على الإسلام وأهله ، الغرض منها تشويه صورة الإسلام ، وهدم أساسه من القواعد ، وجر أهله إلى ردة شاملة ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء : ٨٩] .

ولهذا فإن الإسلام جاء ناسخاً لجميع ما قبله من الأديانِ والملل والشرائع ، وكذلك القرآن جاء ناسخاً لكل ما أنزل من قبله من التوراة والإنجيل والزبور ، ولهذا فقد ثبت أن النبي ﷺ غضب غضباً شديداً ، لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . عنده صحيفة فيها شيء من التوراة ، فقال : «**أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟! ، ألم آت بها بيضاء نقية ، أما لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا إتباعي** » .

و ستنادا إلى هذه النصوص ، فنقول لؤلئك الذين ينادون إلى وحدة الأديان ، بأنه لا يجوز أصلاً بناء الكنائس والمعابد ، ولا يجوز طباعة التوراة والإنجيل منفردين ، فكيف يمكن دمجهما مع المساجد والقرآن ، وبناءً على ذلك لا يجوز تسمية الكنائس بيوت الله ، إنما هي بيوت عبادة الكفار ، قال تعالى ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥**﴾ [الكافرون : ١-٦] ، فقد طلب كفار قريش من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم وأوثانهم سنة ، وهم يعبدون الله سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، آمراً رسوله ﷺ أن يتبرأ منهم ومن آلهتهم .

نصـــر المسلمين :

ولكن مهما حدث ويحدث للمسلمين اليوم من مصائب ومحن وابتلاءات ،

فلن يتغير يقيننا لحظة واحدة ، بأن النصر للإسلام وأهله ، وأن كيد الكافرين والمنافقين هابط خاسر ، وأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١)** ﴾[غافر : ٥١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ [النور : ٥٥] ، وقال عز من قائل : ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)** ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣] .

وقد بشر الرسول ﷺ بنصر هذا الدين،عندما قال : « **إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منه** » ، رواه مسلم ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخل هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله ، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله** »، وقال ﷺ : « **تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت** » ، ولهذا فإننا نؤمن بأن الخلافة قادمة لا محالة ، ونؤمن أيضاً بأننا سنخوض معركة فاصلة مع الغرب الكافر ، اسمها يوم الملحمة، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة في أرض بالغوطة ، في مدينة يقال لها دمشق** » صحيح الجامع .

نموذج مقدمة :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى قد اختار لكم الإسلام دينا ، وفضله على جميع الأديان المختلفة ، والنحل المتعددة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران:١٩] ،وهو الدين الميسّر ، الذي لا حرج فيه ولا مشقة ، كما قال عز وجل : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج:٧٨] ، وقوله أيضا: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة:١٨٥] ، والعالم الإنساني مفتقر بأجمعه إلى أن يأوي إلى ظله الظليل، لأن فيه حل لجميع مشاكل الحياة ومآسيها ، ففي مقام العبودية: جعل العبادة لله وحده لا شريك له ، وحرم عبودية غيره من الأتباع والأشباه والأضداد ، وجعل ذلك كفر بالله ورده عن الإسلام ، قال تعالى ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة:٧٢] ، وقال ﷺ : «**من مات وهو يشرك مع الله نداً دخل النار**» ، وحث الإسلام أيضاً على التعاون والتكافل والاجتماع ، ونهى عن الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران:١٠٣] ،وقد حفظ الإسلام حقوق الناس، وأمن حياتهم من الظلم والعدوان، فأوجب القصاص على من قتل مسلماً متعمداً ، كما قال عز وجل ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)** ﴾ [البقرة:١٧٩] ، وحفظ أموال الغير من السرقة والاختلاس ، فأوجب قطع يد السارق بنص الآية الكريمة : ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)** ﴾ [المائدة: ٣٨] .

واحترم الإسلام أيضاً: الأحساب والأنساب ، وحفظ الفروج ، فأوجب رجم الزاني المحصن حتى الموت ، وجلد غير المحصن مائة جلدة ، مع تغريبه سنة عن

أهله ووطنه ، قال تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النور: ٢] ، وكذلك احترم الإسلام العقول ، فحرّم الخمر ، وكل مسكر يصرفها عن وعيها ، وسماها أم الخبائث، فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة: ٩٠]، وقال عليه الصلاة والسلام : «ما أسكر قليله فكثيره حرام » .

محاسن الإسلام :

إذن: الإسلام كله خير ، وليس فيه شر، وقد شهد بذلك أعداءه المنصفين من اليهود والنصارى وغيرهم، فيقول أحدهم :لقد حان الوقت أن أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة أنارود : يا ليت بلادنا بلاد الإنجليز ، كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف ، وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

ولهذا يجب أن نعلم أن في الإسلام محاسن كثيرة وعظيمة ، وصفات حميدة ، منها على سبيل المثال:

[١] إنه دين السماحة والرفق والعفو عند المقدرة :

فهذه مزية عظيمة من مزايا الإسلام ، فالإسلام عندما رفع السيف في الجهاد والغزو ، لم يرفعه لكي يرغم الناس على الدخول في الإسلام رغم أنوفهم ، وإنما حمل السلاح للدفاع عن المسلمين ومقدساتهم وأعراضهم ، ولنشر الإسلام بالطرق السلمية ، يعبر عن هذه الحقيقة ، ربعي بن عامر عندما قال لرستم: من قبل منا ذلك قبلنا منه ، ورجعنا عن بلاده ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى

موعود الله ، ولهذا فإن المسلمون مثلاً: عندما دخلوا مصر فاتحين ، لم يرغموا أهلها على الدخول في الإسلام، وإنما المصريون أنفسهم ، هم الذين كانوا يرحِّبون بدخول الجيش الإسلامي ، لكي ينقذوهم من ظلم الرومان، والنصارى الذين ذبحوا منهم المئات بل الآلاف، ونتيجة لهذا التسامح والرفق ، الذي لمسوه من المسلمين ، فقد كثر الداخلين في الإسلام ،حتى جاء الوقت الذي لم يجد فيه المسلمون أحداً يفرضون عليه الجزية، وعندها إجتهد بعض ولاة بني أمية، وأصبحوا يفرضون الجزية حتى على من أسلم حديثاً ، فلما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، أسقط الجزية على من أسلم ، فكتب إليه أحد ولاته في مصر : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يدخلون في الإسلام بكثرة ، وهذا يؤثر على بيت المال ، فبعث إليه عمر بن عبد العزيز رسالة يقول فيها: قبح الله رأيك ، إن الله بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه جابياً ، وهكذا ضرب المسلمون أروع الأمثلة في التسامح والرفق واللين ، حتى مع الأعداء والمذنبين في حقهم ، فهذا الرسول ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً ، وجعل يحطم الأصنام بعضها فوق بعض وهو يقول ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (٨١) ﴾ [الإسراء : ٨١] ، اتجه إلى كفار قريش الذين آذوه وعذبوه ، فقال لهم: ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» .

ومن التسامح أيضاً، أن أحد الصالحين كان عنده جارية فأمرها أن تسقيه ماءً ، فلما أحضرت الماء ، انفلت الكأس من يدها فوقع على سيدها ، فغضب عليها غضباً شديداً ، فقالت له : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ قال : كظمت غيضي ، فقالت ﴿ **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾ قال: عفوت عنك ، قالت : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ قال: أطلقتك لوجه الله .

[٢] إنه دين الأخوة والمحبة والألفة :

دين آخى بين صهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، لهو دين يستحق كل توقير وإكبار ،ولهذا يقول الله عز وجل واصفاً محبة المؤمنين لبعضهم البعض ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، حتى وصلوا إلى درجة عالية في الحب والتضحية والإيثار ، كما قال تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑨** ﴾ [الحشر : ٩] ، ونتيجة لذلك فقد رأينا أن أحدهم من الأنصار ، يعرض على أخيه عبد الرحمن بن عوف أن يشاطره نصف ماله ، ويزوجه إحدى زوجاته ، بعد أن يطلقها ، لكن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول له : بارك الله لك في مالك وأهلك ، ولكن دلني على السوق ، فإني ماهر في التجارة ، إذن الإسلام جعل المحبة والأخوة الإيمانية ، تجمع بين الغرباء والمختلفين في الديار والأوطان ، باسم الإسلام والإيمان ، وتفرق بين الأخوة الأشقاء ، إذا كان أحدهم مسلماً والآخر كافراً ، كما قال تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، ومعلوم أن الإسلام يقدم رابطة الأخوة الإيمانية ، على كل الروابط الجنسية والنسبية والقبلية ، إستنادا لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ㉔** ﴾ [التوبة : ٢٤] ، ففي هذه الآية إشارة إلى الروابط الجنسية والنسبية والعشائرية ، وغيرها من الدعوات الجاهلية ، لأن الميزان الذي يتعامل به الإسلام ، هو ميزان التقوى فحسب ، حيث يقول الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**

إِنَّ ... كُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

[٣] إنه دين الوفاء والصدق والأمانة :

لأنه في حد ذاته أمانة ، عرضت على السماوات والأرض ، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْ... إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، والإسلام أيضاً : حرّم الخيانة والغدر ، ونقض العهود والمواثيق ، فقال عز وجل : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [النحل:٩١] ، وقال عليه الصلاة والسلام كما جاء عند الترمذي وغيره : «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك**» ، فالخيانة من أعظم صفات المنافقين ، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان**» وقد أمر الإسلام بإيفاء العهود والمواثيق ، حتى مع الأعداء والكفرة المعاهدين ، كما قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة:٤] ، وقوله أيضاً : ﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ٩٠] .

وفي عهد الرسول ﷺ عاهد قريشاً في صلح الحديبية ، على إرجاع كل من هاجر إليه من قريش ، فجاء إليه أبو جندل بن سهيل ، يريد الهجرة إلى المدينة ، لكن الرسول ﷺ التزم العهد والميثاق ، ورده ولم يقبل هجرته ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** ﴾[النحل:٩١] ،وقوله أيضاً : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٢] .

[٤] إنه دين العدل والمساواة :

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، والعدل مبدأ من مبادئه التي قام عليها ، لماذا ؟ ، لأن الله يحب العدل ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [النحل : ٩٠] ، ويكره الظلم والجور، كما جاء في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلاَ تظالموا** » والإسلام كله عدل وإحسان ، فقد عدل بين الوالد وولده ، والزوجة وزوجها ، وبين الناس جميعاً ، وأمر بالعدل حتى مع الأعداء المحاربين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة :٨]، وقال ﷺ : « **إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »، وكذلك أمر الله بالعدل حتى مع النفس التي هي أغلى ما يملكه الإنسان ، حيث يقول الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ** ﴾ [النساء: ١٣٥] .

والحقيقة أنه لا يوجد دين ، ولا منهج ، ولا قانون ، أُقِرَّ فيه مبادئ العدالة كما رأينا في الإسلام، فهذا رجل يقول للنبي ﷺ : اعدل يا محمد ، فيقول له : « **ويلك ومن يعدل إن لم أعدل** »،وأنتم تعرفون قصة المرأة المخزومية التي سرقت ، وجاء أهلها إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، حبِّ رسول الله ﷺ وابن حبِّه ، يريدون منه أن يشفع لها ، فقال له النبي ﷺ : « **أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » ، واذا ذكر العدل في الإسلام ، يذكر حتماً عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي لُقِّبَ بالفاروق ، لأن الله فرق به بين الحق والباطل ، والذي سجل التاريخ اسمه في سيرة العادلين .

وهذا موقف من عدله رضي الله عنه في عهده، فقد رُوي أن عمرو بن العاص رضي الله عنه

كان والياً على مصر في عهد عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد حدث أن تخاصم ابن الوالي ، وقبطي من أقباط مصر ، فضرب ابن عمرو ابن العاص ذلك القبطي في خده ـ أي لطمه ـ فشكاه إلى أبيه الوالي عمرو ابن العاص ، لكنه لم ينصفه ولم يأخذ بحقه ، فقرر ذلك القبطي أن يرفع مظلمته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذي لا يُظلم عنده أحداً، فشد الرحال، إلى مدينة الحبيب محمد ﷺ حيث هناك عمر ، وما أدراك ما عمر ، الذي كان يقول رضي الله عنه : والله لو أن بغلة تعثرت بالعراق ، لخشيت أن يسألني الله عنها ، لِمَ لمْ تسوي لها الطريق يا عمر ، فلما وصل ذلك القبطي إلى المدينة المنورة ، ورفع مظلمته إلى عمر ، أرسل من فوره رسالة إلى واليه في مصر ، وقال له : أما بعد ، إن وصلك كتابي هذا ليلاً ، فأتني نهاراً ، وإن وصلك نهاراً ، فأتني ليلاً ، وأصحب معك ابنك ، وما إن وصلت هذه الرسالة ، حتى أعدّ عدته ، وجهز راحلته ، واستعد لسفر طويل شاق ، إلى مدينة الحبيب محمد ﷺ ، فلما وصل ورأى عمراً رضي الله عنه ، ارتعدت فرائصه ، واهتزت جوانحه ، فأمسكه عمر من تلابيبه وقال له : يا عمرو بن العاص ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟ .

الله أكبر: أي دين هذا ؟، وأي عدالة هذه؟، وأي قوم هؤلاء؟، يمتثلون للحق والعدالة ولو على أنفسهم أو الأقربين،ثم بعد ذلك اقتص لهذا الرجل من خصمه، فما كان من هذا القبطي إلا أن أعلن إسلامه، فقال:أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

[٥] إنه دين القوة والعزة والمنعة :

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، وقال رسول الله ﷺ : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » ، والحقيقة أن هذه الهزيمة النفسية التي يعيشها المسلمون

اليوم ، هي ليست في الإسلام ، إنما هي في المسلمين أنفسهم ، فهم الذين ضعفوا واستكانوا ، أما الإسلام : فهو دين القوة والعزة والاستعلاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ [آل عمران : ١٣٩]، وقال ﷺ : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله ، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله** » .

وقد كان المسلمون الأوائل معتزون بدينهم ، وهم أهل السيادة والقيادة ، وهم الذين وصلوا إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الأندلس غرباً ، يقف عقبة بن نافع على شاطئ البحر يخاطبه ويقول : والله لو أعلم أن وراء هذا البحر ، رجلاً لا يقول لا إله إلا الله ، لخضت هذا البحر بفرسي ، وأبلغته لا إله إلا الله ، وهذا ربعي ابن عامر : له موقف عظيم مع « رستم قائد الفرس » ، عندما سأله ما الذي جاء بكم إلى بلادنا ؟ ، فقال له : ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله ، قال : رستم وما موعود الله ؟ ، قال : الجنة لمن مات ، والظفر لمن بقيت له الحياة ، قال : وهل لكم أن تؤخروا عنا هذا الأمر حتى ننظر في أمرنا ؟ ، فقال : ربعي بن عامر : ما سن رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء ، أكثر من ثلاث ، أي ثلاثة أيام ، فانظر في أمرك .

ومما يروى أيضاً في هذا الباب: أن ملكاً من ملوك الروم ، اسمه نقفور أرسل رسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ، يخلع فيها ولاء الطاعة للمسلمين ، ثم أرفق ذلك بالتهديد والوعيد ، فما كان من هارون الرشيد ، إلا أن أخذ الرسالة نفسها ، وكتب من خلفها جواباً حسماً ، من أمير المؤمنين هارون الرشيد ، إلى

كلب الروم نقفور: أما بعد ، سوف يصلك جوابي هذا غداً ، ثم أرسل له جيشاً عظيماً ، استحل ديارهم وأموالهم ، ومزق أوصالهم، وكذلك فعل المعتصم بالله ، عندما إستغاثة به امرأة عجوز في عمورية ، وامعتصماه ، وا إسلاماه ، فلبى النداء من بغداد بجيش جرار ، لنصرة امرأة عجوز احتمت بالإسلام .